

الكتابة في الثقافة والحضارة الإسلامية

م . محمد علي حسين
قسم التاريخ
جامعة ديالى
كلية التربية / الأصمع

الملخص

شكل تأريخ الكتابة أثراً وجانباً مهماً في حياة المجتمعات على مختلف العصور ، رغم إن تاريخ الكتابة لا يبدأ إلا مع بداية الحضارة الإنسانية وليس من السهل تحديد المكان والزمان الذي بدأ به ذلك التاريخ ، فالتاريخ يبدأ بالكتابة بعد اختراعها الذي اعتبر أعظم ما قدم في تأريخ البشرية . لقد كانت بداية الكتابة عهد جديد وعامل أساسي في الحضارة رغم بساطتها بمختلف صورها وما ترتب على تطورها أو حتى زيادة الاهتمام بها لأنها أصبحت تدون ما يدور ويحدث للأجيال القادمة .

ومع الحضارة تطورت الكتابة وأخذت الأمم تدون أحداثها حتى كونت لها أصنافاً مختلفة ، والعرب كغيرهم من الأمم كانت لهم تلك الاهتمامات رغم قلتها ، والسبب في ذلك يعود إلى طبيعتهم البدوية وما تحتمه عليهم بحيث لم يكن لأغلبهم حاجة أو ثقة بالكتابة مما أدى إلى تأخر أبجديتهم عن باقي الأبجديات ، وعلى الرغم من أنهم كانوا محاطين بأمم خلفوا كتابات كثيرة .

ومع انتقال الكتابة وانتشارها أصبحت الكتابة معروفة في الجزيرة العربية وشمالها وفي الحيرة وبعدها الحجاز ومكة وانتقلت إلى أهل الطائف وقريش ولكنها غير شائعة حتى إن الذين يعرفون الكتابة منهم عدد قليل لا يتجاوز بضعة عشر رجلاً .

إن الكتابة لم تأخذ دورها الكبير إلا عند مجئ الإسلام حيث شجع القرآن الكريم عليها وشرفها وأصبحت فيما بعد من فوائدها تعلم الناس على رسم المصحف الشريف ، كما حث وشجع عليها الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) حتى أصبح له كُتَّاب كثيرون يشاركونه في تدوين مكاتباته سواء فيما كان يوحى إليه أو ما كان يكتب به أمراءه وأصحابه وما يكتبونه .

ومع انتشار القرآن الكريم والدعوة الإسلامية انتشرت الكتابة انتشاراً واسعاً حتى أصبحت من أكثر الكتابات انتشاراً في العالم

ABSTRACT

The history of writing made an important side in the life of societies since long ago, although the history of writing doesn't start until the begging of human civilization and it is not that easy to do fine the exact time or place Where it started ,history starts after the invention al writing which is considered to be the greatest thing in the history of man .

The begging of writing was a new era and a rend mental factor in civilization despite it's simplicity which it's different ways and what its development lend to because it began to record what had happened for the coming generations .

With civilization writing developed , and nations started to rescored event ,Arabs like any other nation lad such concern even though they were less concerned in it them other nations was , that is due to their anomalism nature so they do not had a need or they don't trust in writing ,as a result their a lappet invention was so late ,although they were surrounded by many writing nations .

By it s spread , writing became well known in the Arab island and especially in the north , in Hera then in Hejaz and Mecca then it was transformed to the people of Al-Taif and Quraish but it was not well known , even those who known how to write they were only a hand full . writing and it s influence on the Islamic culture and civilization .

المقدمة

إن دراسة حركة ازدهار الثقافة والحضارة الإسلامية ، ستكون ناقصة بدون البحث والتحقيق في كيفية ظهور الكتابة وطريقة تعرف المسلمين عليها. وكما قيل: لولا اختراع وصدور الورق لم يكن قد تحقق للحياة الثقافية الأولى ما تحقق لها من اتساع وغنى وتنوع ، إضافة لما لعبه الورق من دور مهم في انتقال أفكار المسلمين خلال القرون والعصور الماضية .

كما إن وحدة الخط بجميع ما اتسمت به من انطلاق وتعر لا ريب في إنها من العوامل المهمة في الوحدة الثقافية للمسلمين . وكان على المسلمين من كل طائفة وعرق أن يقرءوا القرآن الكريم بلغة واحدة وخط واحد بصرف النظر عن بعض الاختلافات الجزئية في تركيب وقراءة الحروف .

وهذا بحد ذاته من الإمارات البارزة للأمة الواحدة ، لذلك ليس عجيبا أن لا ينفصل بحث تاريخ الكتابة عند المسلمين عن تاريخ كتابة وحفظ القرآن الكريم وان يتصل جزء كبير من هذا البحث بالقران الكريم مباشرة وغير مباشرة ، طبعا ونحن لا نريد التحدث بالتفصيل في تاريخ ظهور الخط عند المسلمين وتطوره التاريخي وعن أدوات الكتابة ولاسيما الورق .

ففي هذا المجال نشرت الكتب والرسائل والمقالات الكثيرة ويمكن القول بان هذا البحث لازال جاريا بين بعض الباحثين المسلمين وغير المسلمين .

وان هدفنا في هذا البحث هو بيان ما للكتابة من دور مهم في نشر الرسالة الإسلامية وانعكاس ذلك على المجتمعات والشعوب التي دخلت في هذا الدين سيما البلدان الشرقية .

الكتابة عند عرب الجاهلية

هناك مجموعة من المعلومات المبعثرة تشير إلى إن العرب لم يهتموا بالكتابة في عصر الجاهلية بشكل عام والسبب في ذلك يعود إلى إن معظم القبائل العربية كانت من البدو ولم يكن لهؤلاء حاجة أو ثقة بالكتابة على الرغم من اطلاع عرب الجاهلية على أمر الكتابة وهذا نابع من إن الحياة البدوية لم تكن بالشكل الذي تفرض على العرب أمر الكتابة ، وكانت الثقافة الغالبة في ذلك العصر ثقافة شفوية فكل ما كان يعد من المفاخر القومية والقبلية كالشعر والقصص الملحمية ينقل من فم لآخر ومن جيل إلى جيل حتى حل العصر الإسلامي.

ففي الأشعار القديمة التي وصلتنا من العصر الجاهلي كانت هناك تساؤلات حول صحتها أو صحة شطر عظيم منها، أشارت إلى الكتابة وأدواتها على شكل مفردات خاصة^(١) ولكنها تعد إشارات قليلة جداً. فضلاً عن ذلك انه من غير الواضح ما هو الخط الذي كان شائعاً وفي أية موارد كان يستخدم، الا انه عثر في الحجاز على نقوش تعود إلى عصور مرت على تلك المنطقة وتوصل العلماء إلى إن الخط السائد في تلك الناحية كان نوعاً من الخط النبطي^(٢) ولكن لا يمكن الجزم من خلال هذه النقوش إن المراد بالكتابة في العهد القريب من ظهور الرسول(صلى الله عليه وسلم) هو إن الكتابة كانت بهذا الخط أم لا .

يقول ابن النديم انه توجد في خزانة المأمون كتابة بخط عبد المطلب بن هاشم جد الرسول(صلى الله عليه وسلم) ونقل ابن النديم عين تلك الكتابة^(٣) رغم انه لا يفهم من كلامه طبيعة الخط الذي خطت به تلك الكتابة .

على أية حال لو صحت هذه الرواية التي لا تملك ما يؤيد أو يفند صحتها فمن المؤكد انه كان في بلاط الخليفة العباسي من هو قادر على قراءتها وهذا الأثر كما يقول ابن النديم كان مكتوباً على الجلد.

كانت مكة مدينة تجارية وتنفذ إليها معظم القبائل التي تقطن فيها لاسيما قريش هي أهمها وأكبرها منهمكة في المعاملات التجارية لاسيما مع عرب سائر مناطق شبه الجزيرة العربية ومع البلدان المجاورة كالشام في بعض الأحيان ويمكن أن نستنتج إن الجزء الأعظم إذا لم نقل جميع ما كان ينبغي أن يكتب لابد أن يكون على صلة بموضوع التجارة ، في الوقت الذي تشير إليه المصادر إلى انتقال الكتابة من الحيرة إلى أهل الطائف وقريش^(٤) ولكن ليس في آثار العرب بالحجاز ما يدل على أنهم كانوا يعرفون الكتابة إلا قبيل الإسلام مع إنهم كانوا محاطين شمالاً وجنوباً بأمم من العرب خلفوا كتابات كثيرة^(٥) أو على حد تعبير البلاذري ، انه كان يوجد في الإسلام (١٧) رجلاً من قريش وحتى بعض النسوة كانوا يقرؤون ويكتبون^(٦) كما كان في يثرب بعض أفراد قبيلتي الأوس والخزرج يعرفون القراءة والكتابة^(٧).

ويبدو إن مثل هذا القول يحتاج إلى التثبت منه وعدم إطلاقه على عوامته ، فعدد كتاب النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بلغ عددهم على ما ينيف على الأربعين وكان أكثرهم من الشبان ، ولاشك في إنهم قد تعلموا الخط والقراءة وما إليها من بعض كتاتيب المدينة ومكة قبل الإسلام ثم إن الكتاتيب كانت معروفة بكثرة في بلاد الشام ومصر وفارس والعراق قبل الإسلام ، فلا غرابة إذا نقل القريشيون ذلك عنهم في رحلاتهم التجارية ، كما إن لجوالي النصرانية واليهودية في الجزيرة كانت تعلم أبنائها في المدارس أو الكتاتيب أو الكنائس أو الأديرة وليس بعيداً أن يكون جيرانهم قد أفادوا من ذلك^(٨) هذه الحقائق تبين خطأ النظرية التي ذاعت لدى الكثيرين وشاعت والتي ترى الجهل والامية متفشيين بين العرب قبل الإسلام ، وان الإسلام لما جاء لم يكن بينهم في مكة وهي عاصمتهم الكبرى إلا سبعة عشر كاتباً وان اليمن لم يكن فيها كاتب واحد .

تأريخ الكتابة في القرآن

اهتم الإسلام بالكتابة ونصت على ذلك آيات قرآنية عدة ، ودل وجود بعض المفردات الخاصة بالكتابة في القرآن الكريم على أن العرب كان لديهم حين ظهور الإسلام تصور لبعض أنواع الكتابة وإلا لما كان القرآن قد استخدمها ومنها مفردة (الكتاب) وأن كنا لا ندري هل المراد به عين ذلك الشيء الذي ندعوه بالكتاب كما في قوله تعالى (والطور وكتاب مسطور في رق منشور) ^(٩) فلفظة الكتاب تكررت في القرآن الكريم مراراً ^(١٠).

كذلك مفردة (صحيفة) تكررت في صيغة الجمع (صحف) ثمانين مرات في القرآن الكريم ولا ريب في أن المراد بها أثر مكتوب كما في قوله تعالى (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة) ^(١١) وقوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى) ^(١٢) وقوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) ^(١٣).

ونزلت آية من القرآن الكريم تحت المسلمين أن يكتبوا ديونهم ، في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا تدانتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل) ^(١٤)

ولهذا فقد كان القرآن الكريم فتحاً جديداً ليس في تأريخ العقيدة الإسلامية فحسب بل في تاريخ الحضارة الإسلامية وكرم القرآن العلم والعلماء والكتاب والقلم في مواضع عديدة، فضلاً عن ذلك نجد في الأحاديث النبوية إشارات كثيرة في الحث على الكتابة كقوله صلى الله عليه وسلم : (قيدوا العلم بالكتاب) ^(١٥). وكان النموذج البارز الذي يكشف عن اهتمام الرسول (صلى الله عليه وسلم) الخاص بالكتابة يتعلق بغزوة بدر ففي هذه الغزوة وقع بعض المشركين أسرى بيد المسلمين فوضع الرسول (صلى الله عليه وسلم) تعليم كل مشرك لعشرة من المسلمين القراءة والكتابة شرطاً لإطلاق سراحهم ^(١٦).

فقد كان لدى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وسلم) كتاب مختصون كانوا يكتبون آيات القرآن الكريم غالباً أو أنه (صلى الله عليه وسلم) كان يستخدمهم لكتابة المعاهدات والرسائل الرسمية في شتى الاختصاصات ^(١٧). كما إن الإصرار على كتابة القرآن الكريم رغم النزعة التي كانت لدى العرب في الحفظ عن ظهر قلب موضوع مهم ورائع يكشف عن أن المسلمين كانوا يعملون منذ البداية وبفضل إرشادات الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه لا ينبغي قط أن تتغير ولو كلمة واحدة من كلمات القرآن الكريم.

الكتابة في المدينة

ومما يشار إليه أن المدينة بلد زراعي ولم تكن تعرف فيها الكتابة إلا قليلاً ، ولم تكن هنالك اهتمامات كبيرة بتعلم القراءة والكتابة لقلّة اهتمامهم بالتجارة وعدم معرفتهم بتنظيم العقود التجارية التي تحتاج إلى العملية الكتابية ، فضلاً عن ما كان لبعض اليهود الذين يعرفون الكتابة بالعربية دور مهم في تعليم صبيانها قبل الإسلام ^(١٨). واعتناق الأوس والخزرج الديانة الوثنية ، لذلك كانت نسبة من يعرف القراءة والكتابة قليلاً جداً ، وبعد دخول الإسلام إلى المدينة ازداد عدد من يعرف القراءة والكتابة بعد هجرة عدد كبير من الصحابة ممن يعرف القراءة والكتابة إليها ، أخذوا على عاتقهم مهمة نشر الدين الإسلامي في المدينة ^(١٩). فضلاً عن ذلك أورد البلاذري الذين كانوا يعرفون القراءة والكتابة من الأوس والخزرج عندما جاء الإسلام كل من : سعد بن عبادة ، و أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورافع بن مالك ، واسيد بن خضير ، معن بن عدي ، وبشير بن سعد ،

وسعد بن الربيع ، واوس بن خولي ، وعبد الله بن أبي .^(٢٠) كما تطلب اعتناق الدين الإسلامي الجديد معرفة القراءة والكتابة من أجل فهم أمور دينهم حتى عد الدين الإسلامي طلب العلم فريضة على كل مسلم .^(٢١) وأكدت ذلك الأحاديث النبوية الشريفة التي تحت على العلم ، منه قوله (صلى الله عليه وسلم) (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)^(٢٢) وقوله (صلى الله عليه وسلم) (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة)^(٢٣) ولأهمية الكتابة في المجتمع الجديد فقد أخذت الكتابة في الانتشار لحاجة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى عدد كبير من الكتاب لتدوين الآيات القرآنية ولإرسال الكتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم فيها إلى الإسلام.^(٢٤)

انتقال الكتابة إلى الورق

إذا علمنا إن عرب الجاهلية كانوا يعرفون الكتابة إلى حد ما ثم ازدادت معلوماتهم بعد ظهور الإسلام وفي ظل جهود الرسول (صلى الله عليه وسلم) وحته الدائم ، لابد ضمن هذا الاتجاه من اخذ القابلية الاقتصادية وموضوع توفير الإمكانيات بنظر الاعتبار وقد لاحظنا إن عبد المطلب قد كتب تلك الوثيقة على الجلد ويمكن إن نفهم من ذلك إن الجلد كان يستخدم غالباً في القضايا المهمة نظراً لقابليته الكبيرة على البقاء واحتفظ بأهميته في هذا المضمار حتى أواسط العصر العباسي^(٢٥) غير إن توفره كان يصعب حتى على الأثرياء ولا يمكن استخدامه باستمرار وإنما في كتابة بعض الأحكام والرسائل والمواثيق المهمة .

كما أكدت بعض الروايات على إن هذا اللون من الكتابة كان سائداً في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) في بعض الموارد فقد روت أم سلمة زوجة الرسول (صلى الله عليه وسلم) إن الرسول (صلى الله عليه وسلم) طلب رقاً (الجلد) فاخذ يملئ وعلي (عليه السلام) يكتب حتى امتلأ وجهها ذلك الرق^(٢٦)

لكن يبدو إن عظم كتف الحيوانات الأهلية لاسيما الجمال والنعاج والماعر كان أكثر شيوعاً في الكتابة فيقول زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي له دور أساسي في جمع القرآن ، حينما نزلت الآية (لا يستوي القاعدون من المؤمنين)^(٢٧) طلب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كتفا وقال لي : (اكتب)^(٢٨)

كانت الكتابة على عظام الكتف تلاحظ حتى في عهود متأخرة عن عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) كالعصر الأموي^(٢٩) ولا يستبعد أن تكون طبقات الناس العادية هي التي كانت تستخدمها . كما كان العرب يستخدمون أدوات أخرى للكتابة كسعف النخيل أو أقمشة الحرير الأبيض والجلود الصقلية وكان استخدام كل نوع يعتمد على أهمية الموضوع المكتوب والوضع المالي للكتاب .

كما لا ينبغي تجاهل إن تعرف المسلمين على الحضارات المجاورة كان ذا تأثير كبير على معرفتهم بأدوات الكتابة فالمسلمون بعد فتح مصر في عهد الخليفة عمر أصبحت مصانع القراطيس في مصر تحت سيطرتهم ورغم ذلك فإنها لم تنتشر في الدولة الإسلامية ، حيث حافظت على كونها نوعاً من الترف فظلت بلاد الروم تستورد من مصر حتى جاء الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦هـ) حيث أخذت الدولة تولي القراطيس شيئاً من العناية .^(٣٠) وتعرف الناس على القراطيس (chartes) أو البردي (papyrus) ويبدو إنهم أخذوا يفضلون الكتابة على هذه الأداة على سائر أدوات الكتابة^(٣١) غير إن القراطيس كان باهظ الثمن لذلك كانوا يسعون لاستخدامه على أحسن وجه فقد سعى الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) (٩٩-١٠١هـ) للقيام ببعض الإصلاحات في الخلافة الأموية ووصل إليه كتاب من وإلى المدينة كان معنوناً للخليفة الذي قبله أي سليمان بن عبد الملك يطلب فيه إرسال القراطيس لرفع حوائج المسلمين فبعث إليه عمر بن العزيز كتاباً يحثه على أن يبرئ قلمه ويقارب الأسطر ويكتب في صحيفة واحدة لان المسلمين ليست لديهم تلك الحوائج التي تلحق الضرر ببيت المال^(٣٢) .

وكان لانتشار استخدام القراطيس أو البردي في العراق ومصر طيلة أيام الخلافة الأموية وفي مطلع الخلافة العباسية أهمية كبيرة وتحديث الجهشباري عن إن أبا جعفر المنصور أمر احد عماله أن يجمع

الكتابة في الثقافة والحضارة الإسلامية

م . محمد علي حسين

القرطيس الكثيرة الموجودة في خزانة الخلافة وبيبيها كي يساعد عن هذا الطريق خزانة الدولة التي كانت بحاجة ماسة إلى المال لكنه ندم على ذلك فيما بعد فطلب من ذلك العامل الاحتفاظ بالقرطيس خوفا من انقطاع ورودها من مصر لما كانت تشهده من حوادث^(٣٣).

وكان يوجد درب في بغداد باسم (درب القرطيس) ونسبة (ألقراطي) في كتاب (الأنساب) للسمعاني يكشف عن انتشار بيع وشراء القرطاس في بغداد^(٣٤).

كما إن المعتصم العباسي حينما نقل مركز الحكم من بغداد إلى سامراء حمل إليها بعض أصحاب الحرف والصناعات ومن بينهم صناع القرطاس من مصر^(٣٥).

ومنذ أواخر النصف الأول من القرن الهجري الثاني أخذت تختفي جميع هذه الأدوات تدريجياً ليحل محلها ذلك الشيء الذي لعب المسلمون دوراً كبيراً في صناعته وانتشاره وكان له دور أساسي في الثقافة المكتوبة وهو الكاغذ أو الورق الصيني والكاغذ كما ورد في بعض المعاجم كلمة فارسية ذات أصل صيني^(٣٦).

وتعود خلفية معرفة المسلمين بالورق إلى عهد فتوحات ما وراء النهر، حيث يذكر الثعالبي أنه حدث في حوالي سنة (١٣٤هـ) حرب بين زياد بن صالح والأمراء الأتراك وحلفائهم من الصينيين عند ضفاف نهر طراز شمالي ما وراء النهر في منطقة سميت بتركستان فيما بعد، وحمل زياد بن صالح الأسرى الصينيين العارفين بصناعة الورق إلى سمرقند فازدهرت بواسطتهم صناعة الورق في سمرقند وأخذت هذه المدينة تصدر الورق إلى سائر أنحاء العالم الإسلامي فكان الورق السمرقندي معروفاً لدى الجميع في تلك الفترة^(٣٧). ويذكر النويري إن الورق اكتسح قرطيس مصر والجلود التي كان القدماء يكتبون عليها وحل محلها تماماً لأن الورق أفضل وأسهل في الكتابة ومن اليسير الحصول عليه فضلاً عن رخصه^(٣٨).

ولم تتحدث المصادر الموجودة بنحو كاف ودقيق عن المواد التي كان يتألف منها الورق فقط تعلم أنه كان يصنع من القطن وبعض النباتات الأخرى كما إن التفاوت في مقدار المواد الأولية أدى إلى ظهور أنواع مختلفة من الورق في القرون الأولى الهجرية فكانت تلك الأنواع تختلف فيما بينها من حيث الجودة والقوة والضخامة واللون والشفافية وهذا يكشف عن أن المسلمين لم يكتفوا بتعلم صناعة الورق من الصينيين فحسب وإنما انطلقوا لتطوير هذه الصناعة.

وسائل الكتابة في القرون

لقد أشار القرآن الكريم في العديد من الآيات إلى أنواع من الورق استخدمت في الكتابة رغم بساطتها ووجود مواد أخرى استخدمت أيضاً في الكتابة كأكتاف الإبل وعصب النخل وبعض الألواح الخشبية الخاصة، وهذا ما أشارت إليه الدراسات التاريخية إلى أن العرب في الجاهلية والإسلام قد كتبوا على تلك المواد المختلفة. أما ما ورد ذكره من تلك الأنواع في القرآن الكريم فتكون كالآتي :-

١- الرقوق / هي الجلود التي دبغت وصقلت بأسلوب معين يجعلها صالحة للكتابة^(٣٩) وللدلالة على

استخدام الرقوق في الكتابة قوله تعالى (و الطور وكتاب مسطور في رق منشور)^(٤٠)

٢- القرطيس (ورق البردي) / تعتبر من أدوات الكتابة، استخدمها العرب في حساباتهم التجارية^(٤١). وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم)^(٤٢).

٣- الصحف / ويذكر أن العرب استخدموها في بداية عهد الإسلام وهي من الجلود^(٤٣). وقد ورد ذكر الصحف في القرآن الكريم في قوله تعالى (إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى)^(٤٤)

أسماء الورق

الكتابة في الثقافة والحضارة الإسلامية

م . محمد علي حسين

تحدث ابن النديم عن أسماء بعض الورق ^(٤٥) ، كالورق السليماني المنسوب إلى سليمان بن راشد الذي كان واليا لبعض الوقت على خراسان في عهد هارون الرشيد ، والورق أطلحي المنسوب إلى طلحة بن طاهر ثاني أمير في الدولة الطاهرية بخراسان ، الورق النوحى المنسوب إلى نوح الساماني . والورق الفرعوني وكان يصنع في مصر وكان منافسا للقرطاس القديم وأقدم وثيقة تعود إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، مكتوبة على هذا النوع من الورق ^(٤٦) . والورق الجعفري المنسوب إلى جعفر البرمكي ، الورق الطاهري المنسوب إلى طاهر ، أحد أمراء الدولة الطاهرية بخراسان ^(٤٧) . وكانت توجد أنواع أخرى شهيرة من الورق يمكن الوقوف عليها من خلال مراجعة بعض المصادر مثل : الورق الجيحاني ، المنسوب إلى ناحية جيحان في خراسان الكبرى ^(٤٨) . الورق المأموني ، المنسوب إلى المأمون العباسي ^(٤٩) . والورق المنصوري المنسوب إلى أبي الفضل منصور بن نصر بن عبد الرحيم المعروف بالكاغذي ويعد هذا الورق من أفضل أنواع الورق السمرقندي ^(٥٠) . أما القلقشندي فقد وضع ترتيب لثلاثة أنواع من الورق وهي : الورق البغدادي وهو أعلى أجناس الورق ولا يكتب فيه في الغالب إلا المصاحف الشريفة والورق الشامي وهو على نوعين ، نوع يعرف بالحموي نسبة لحماة ونوع دونه في القدرة وهو المعروف بالشامي ، والنوع الثالث هو الورق المصري وهو أيضا على نوعين ، القطع المنصوري وقطع العادة والمنصوري أكبر حجماً ^(٥١) .

صناعة الورق

تشير المصادر إلى ان أهل الصين هم أول من عرفوا صناعة الورق ، وكان الامتداد في الفتوحات الإسلامية نحو الشرق ومتاخمة الحدود الإسلامية للصين السبب المباشر في الاتصال والاحتكاك وبالتالي انتقال صناعة الورق من الصين إلى الديار الإسلامية المجاورة ^(٥٢) . وكانت هنالك مدن خاصة لصناعة الورق مثلما كانت عليه مدينة سمرقند ثم انتشر بعد ذلك في سائر البلاد الإسلامية فاخذ الورق يصنع في العراق ومصر والشام والمغرب والأندلس وإيران. ومما يذكر ان الورق بدء يصنع في بغداد نهاية القرن الثاني الهجري بجهود الفضل بن يحيى البرمكي وزير الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) الذي عرف بحبه للعلم وبذلك حل الورق محل الجلود في الدوائر والمؤسسات الحكومية ، كما إن جعفر بن يحيى الذي خلف أخاه الفضل بن يحيى على الوزارة لعب دورا رئيسيا في إحلال الورق محل البردي المصري ^(٥٣) .

وهناك مؤشرات كثيرة تدل على وجود أماكن خاصة لصناعة الورق ، واخذ الورق البغدادي يشتهر اشتهارا عظيما وراح يعرف كأفضل أنواع الورق ويقول أبو العباس القلقشندي: بان الورق البغدادي كان جيدا ومطلوبا بحيث راح يستخدم في الغالب لكتابة القرآن الكريم أو بعض المكاتبات والمراسلات المهمة ^(٥٤) . وكان الورق متوفرا في بغداد إلى درجة اخذ البعض يهدونه للبعض الآخر كي يدونوا فيه حاجاتهم أحيانا ، وانتقلت صناعة الورق من العراق إلى الشام في القرن الهجري الخامس فأحدثت هناك تحولا مهماً بحيث حينما يتحدث ناصر خسرو في كتاب رحلته عن مدينة طرابلس يقول: بأنه كان يصنع في هذه المدينة ورق جميل كالورق السمرقندي وأفضل منه ^(٥٥) .

كما اشتهرت دمشق بصناعة الورق أيضا وأشاد به المؤرخون وبلغت صناعة الورق في الشامات درجة بحيث كان يصدر إلى أوروبا الشرقية ^(٥٦) . كما اشتهرت مدن أخرى في الشام مثل حلب وطبرية وحماة بصناعة أنواع الورق ^(٥٧) .

الكتابة في الثقافة والحضارة الإسلامية

م . محمد علي حسين

وعلى الرغم من تأخر مصر عن بعض مناطق العالم الإسلامي في صناعة الورق إلا إن المصادر تحدثت عن جودة الورق المصنوع في مصانع القاهرة والفسطاط ، حيث يقول المقرئزي : إن مدينة الفسطاط اشتهرت بصناعة الورق لاسيما الورق المنصوري^(٥٨) .
أما في غرب العالم الإسلامي كشمال إفريقيا ، والأندلس وصقلية ، كانت توجد مصانع لصناعة الورق وكان الورق يصدر من تلك البلاد إلى أوروبا^(٥٩) .
وفي إيران يقول ياقوت الحموي كان أهل مدينة (خونج) القريبة من زنجان يشتغلون في صناعة الورق^(٦٠) .
إذن لعب المسلمون دورا أساسيا في نشر الورق الذي يعد من أهم عوامل الارتباط الثقافي والعامل الأساس في انتقال المفاهيم الإنسانية والعلمية . حيث انتقلت هذه الصناعة عن طريق مصر والأندلس إلى أوروبا وشيدت أولى مصانع صناعة الورق في إيطاليا نحو عام (١٢٧٦م) وفي فرنسا نحو عام (١٣٤٨م) وفي ألمانيا في عام (١٣٩٠ م) ، وفي بريطانيا في عام (١٤٩٥م)^(٦١) .

الخاتمة

- من خلال دراستنا للبحث الموسوم (الكتابة في الثقافة والحضارة الإسلامية) يمكننا أن نستخلص بعض الأمور منها :-
- إن العرب لم يهتموا بالكتابة في عصور الجاهلية وهذا نابع بحكم ما كان سائداً عندهم من حياة البداوة واعتبار الكتابة بأنها من الأمور الحضارية وكانت الثقافة السائدة بينهم في تلك العصور هي الثقافة الشفهية .
 - شكل القرآن الكريم فتحاً جديداً ليس في تأريخ مكة فحسب بل في تأريخ الأمم المجاورة كالمدينة والطائف وغيرها ، من خلال ما أولاه القرآن الكريم للعلم والعلماء من اهتماماً كبيراً برز واضحاً فيما أشار إليه القرآن الكريم من وسائل الكتابة دليل على ذلك .
 - شجع الإسلام على العلم والتعلم في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة لإعداد المسلمين ليكونوا رسل الحضارة وحماتها .
 - كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) دوراً بارزاً في حثه الدائم لأصحابه في الإصغاء وحفظ وكتابة آيات القرآن الكريم المنزلة عليه ، برزت جيلاً من الصحابة حمل على عاتقه مهمة تعليم القرآن ونشر الدين الإسلامي .
 - وأخيراً فقد كان للمسلمين دوراً مهماً في صناعة الورق وتطورها وانتقالها إلى الأمم الأخرى وهي جملة عوامل كان لها دورها في تطور الحضارة العربية الإسلامية

الهوامش

١. الجبوري ، الخط والكتابة ، ص ٢٤٩ وما بعدها .
٢. المصدر نفسه ، ص ٣١ .
٣. الفهرست ، ج ١ ، ص ٧ .
٤. علي ، جواد ، المفصل ، ج ٨ ، ص ١٥٣ ، ١٦٢ ، ٢٢٠ .
٥. حميد مجيد ، تحسين ، الخط العربي ، ص ٢ .
٦. فتوح البلدان ، ج ٣ ، ص ٥٨٠ .

الكتابة في الثقافة والحضارة الإسلامية

م . محمد علي حسين

٧. المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٥٨٣ .
٨. طلس ، محمد اسعد ، التربية والتعليم في الإسلام ، ص ١٨ .
٩. سورة الطور ، الآية (٣-١) .
١٠. الفاني ، المعجم الموضوعي للقران المجيد ، ص ٣١٢-٣١٣ .
١١. سورة البينة ، الآية (٢) .
١٢. سورة الأعلى ، الآية (١٨-١٩) .
١٣. سورة التكويد ، الآية (١٠) .
١٤. سورة البقرة ، الآية (٢٨٢) .
١٥. الدار مي ، السنن ، ج ١ ، ص ١٣٨ .
١٦. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٢ ، ص ١٤ .
١٧. حسين ، محمد علي ورحيم فرحان ، كتاب النبي (ص) ، ص ٥٦٣ .
١٨. البلاذري ، فتوح البلدان ، ج ٣ ، ص ٦٦٣ .
١٩. المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٦٦٠-٦٦١ .
٢٠. المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٦٦٣-٦٦٤ .
٢١. الطبراني ، المعجم الكبير ، ج ١ ، ص ٣٩٥ .
٢٢. البخاري ، الجامع الصحيح ، ج ٢ ، ص ٦١٠ .
٢٣. أبو داود ، السنن ، ج ٣ ، ص ٣١٧ .
٢٤. المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٢٥٨-٢٦١ .
٢٥. الجبوري ، الخط والكتابة ، ص ٢٥٧ .
٢٦. المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ .
٢٧. سورة النساء ، الآية (٩٥) .
٢٨. الجبوري ، الخط والكتابة ، ص ٢٥٦ .
٢٩. الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٩ ، ص ٢٤٠ .
٣٠. عليان ، ربحي مصطفى ، المكتبات ، ص ٥٥ .
٣١. القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٩ .
٣٢. ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٥ ، ص ٤٠٠ .
٣٣. الوزراء والكتاب ، ص ١٣٨ .
٣٤. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج ٨ ، ص ٥٤٤ .
٣٥. اليعقوبي ، تاريخ البلدان ، ص ٢٦٤ .
٣٦. مصاحب ، غلام حسين ، دائرة المعارف الفارسية ، ج ٢ ، ص ٢١٤٤ .
٣٧. الثعالبي ، ثمار القلوب ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .
٣٨. نهاية الإرب ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ .
٣٩. عليان ، المكتبات ، ص ٥٣ .
٤٠. سورة الطور ، الآية (٣-١) .
٤١. عليان ، المكتبات ، ص ٥٤ .
٤٢. سورة الأنعام ، الآية (٧) .
٤٣. عليان ، المكتبات ، ص ٥٦ .
٤٤. سورة الأعلى ، الآية (١٥-١٨) .
٤٥. الفهرست ، ج ١ ، ص ٢٣ .
٤٦. ابن أبي اصيبعة ، عيون الأنباء ، ج ٢ ، ص ٧ .
٤٧. ابن النديم ، الفهرست ، ج ١ ، ص ٢٣ .
٤٨. ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٩٥ .
٤٩. المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .
٥٠. السمعاني ، الأنساب ، ج ٣ ، ص ٤٠٥ .
٥١. صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٧٥-٤٧٦ .

- ٥٢- عليان ، المكتبات ، ص ٥٦ .
- ٥٣- القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ٤٧٦ .
- ٥٤- المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٦٧ .
- ٥٥- خسرو ، ناصر ، سفرنامه ، ص ٢١ .
- ٥٦- علي ، محمد كرد ، الإسلام والحضارة العربية ، ج ١ ، ص ٢١٥ .
- ٥٧- عليان ، المكتبات ، ص ٦٠ .
- ٥٨- الخطط المقرزية ، ج ٢ ، ص ٧٧ .
- ٥٩- عليان ، المكتبات ، ص ٦٢ .
- ٦٠- معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٥٠٠ .
- ٦١- مصاحب ، دائرة المعارف الفارسية ، ص ٢١٤٤ .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين احمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (ت ٦٦٨هـ)
- ١- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق رضا نزار ، مكتب الحياة ، بيروت ، ١٩٦٥ .
- ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ)
- ٢- الفهرست ، تحقيق رضا نجد ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- ابن سعد ، محمد بن منيع الزهري (٢٣٠هـ)
- ٣- الطبقات الكبرى ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٢٢٥هـ .
- ٤- الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت .
- أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)
- ٥- سنن أبي داود ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، بيروت .
- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ)
- ٦- الأغاني ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م .
- البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٥٦هـ)
- ٧- الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ط ٣ ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧/١٩٨٧ .
- البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)
- ٨- فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٥٧م .
- الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري (ت ٤٣٠هـ)
- ٩- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م .
- الجهشيارى ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ)
- ١٠- الوزراء والكتاب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، القاهرة ، ١٩٣٨م .
- الدار مي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ)
- ١١- سنن الدار مي ، تحقيق فواز احمد وخالد السبع ، ط ١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧ .
- السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ)
- ١٢- الأنساب ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
- الطبراني ، أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب (ت ٣٦٠هـ)
- ١٣- المعجم الكبير ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م .
- الطبري ، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)
- ١٤- تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة .
- القلقشندي ، أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ)
- ١٥- صبح الأعشى ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م .
- المسعودي ، أبو الحسن بن علي (ت ٣٤٦هـ)
- ١٦- التنبيه والإشراف ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٨٩٣ .

- المقريري ، تقي الدين أبو العباس احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ)
- ١٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريرية ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٩٩٩ .
- النويري ، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ)
- ١٨- نهاية الإرب في فنون الأدب ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ / ١٩٤٩ .
- اليعقوبي ، احمد بن يعقوب (ت ٢٩٢هـ)
- ١٩- البلدان ، تحقيق م. ي. دخويه ، لندن ، ١٨٩٢ .
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)
- ٢٠- معجم البلدان ، تحقيق وستفالد لايبزيك ، ١٨٦٦ .
- الجبوري ، يحيى وهيب
- ٢١- الخط والكتابة في الحضارة العربية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٤ م .
- الفاني ، كامران وبهاء الدين الخرمشاهي
- ٢٢- المعجم الموضوعي للقران المجيد ، ١٩٩٩ م .
- خسرو ، ناصر
- ٢٣- سفرنامه ، تحقيق محمد دبیر السیاقی ، جمعية الآثار الوطنية ، طهران ، ١٩٧٥ م .
- طلس ، محمد اسعد
- ٢٤- التربية والتعليم في الإسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٧ .
- عليان ، ربحي مصطفى
- ٢٥- المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية ، ط ١ ، دار صفاء للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩ م .
- علي ، جواد
- ٢٦- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط ٢ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨ م .
- علي محمد كرد
- ٢٧- الإسلام والحضارة العربية ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٠ م .
- مصاحب ، غلام حسين
- ٢٨- دائرة المعارف الفارسية

الدوريات

- تحسين ، حميد مجيد
- ٢٩- الخط العربي في معجم الأدباء ، مجلة ديالى ، العدد ٣٥ ، لسنة ٢٠٠٩ م .
- محمد ، علي حسين ورحيم فرحان
- ٣٠- كُتَاب النبي (صلى الله عليه وسلم) ، مجلة ديالى ، العدد ٤٧ ، لسنة ٢٠١٠ م .